اسم الدرس : وقفات مع سورة النجم

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. مجلس اليوم فيه وقفات مع سورة النجم، توكلنا على الله.

بسم الله.

(سورة النجم) سورة من السور التي تبدأ بقَسم (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2)) حقيقةً، سورة النجم من السور ذات التأثير العالي جدًا، النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم، سجد المسلمون والمشركون والجن والإنس.

الحديث[1] في البخاري؛ إلا رجلًا أبى أن يسجد، وأخذ حفنة من تراب ووضعها على رأسه، فانظر مدى تأثير سورة النجم!

وهناك موقف آخر شبيه لهذا، عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن على الصحابة، فقال: لقد كانت الجن أحسن مردودًا منكم، الجن كانوا أحسن مردودًا منكم، ما مررت بآية (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13)) إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب[2].

إذًا هناك سور أحدثت أثرًا كبيرًا في القلوب فور سماعها مثل (سورة الطور) لما سمعها الجُبَير بن مُطعِم فقال: كاد قلبي أن يطير[3]، طبعًا كل القرآن أثره عالٍ، قال ربنا سبحانه وتعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ" –كل القرآن– "لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: 21] لكن (سورة النجم) فيها معانٍ عظيمة جدًا، تقريبًا هي السورة الوحيدة التي تكلمت عن المعراج، أعلى

---

[1] ١- [عن عبدالله بن عباس:] أنَّ النبيَّ ﷺ سَجَدَ بالنَّجْمِ، وسَجَدَ معهُ المُسْلِمُونَ والمُشْرِكُونَ والجِنُّ والإنْسُ.
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ١٠٧١ • [صحيح]

[2] - [عن جابر بن عبدالله و عبدالله بن عمر:] "لقدْ قرأْتُها (يعني سورةَ الرحمن) على الجنّ ليلَةَ الجنّ، فكانوا أحسَنَ مردودًا منكُمْ، كنتُ كلَّما أتيتُ على قوله فبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ قالوا: ولا بشيءٍ مِّنْ نعَمِكَ ربَّنا نُكَذِّبُ فلَكَ الحمْدُ "
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٥١٣٨ • حسن

[3] - [عن جبير بن مطعم:] سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذِه الآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِن غيرِ شيءٍ أَمْ هُمُ الخالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَواتِ والأرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ} قالَ: كادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ، قالَ سُفْيانُ: فأمَّا أنا، فإنَّما سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ، عن مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبِيهِ، سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ، يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ ولَمْ أسْمَعْهُ زادَ الذي قالوا لِي
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٤٨٥٤ • [صحيح]

نقطة وصل إليها بشر، تحدثت عن المعراج عند سدرة المنتهى، النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى مكان، في أعلى تشريف، وهناك فرضت عليه الصلاة، في هذه المعاني العظيمة تأتي (سورة النجم) تتكلم عن المعراج وبالتفصيل.

لذلك نحن لدينا سورة اسمها (سورة الإسراء)، وهنا (سورة النجم) التي تتكلم عن المعراج، لم يُجمع بينهما، الإسراء والمعراج، هما حدثا في زمن واحد، كان حدثًا واحدًا لكن فُصل بينهما في القرآن، لماذا؟ سورة الإسراء نزلت قبيل الهجرة، حادثة المعراج كانت قبيل الهجرة –على خلاف بين العلماء– الإسراء معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم سار من مكة لبيت المقدس، المسجد الأقصى.

عندما سار النبي صلى الله عليه وسلم –وإن كان بالبراق– لكن هذا الأمر قد يستطيعه البشر، لكن ليس بنفس السرعة، وإن كان في زمننا هذا أصبحت السرعة أكبر، فقد يقول قائل: هذا أمر محتمل حدوثه الآن بسهولة، والسير إلى المسجد الأقصى نحن مطالبون به أصلًا، ليست القضية في البراق، نحن مطالبون بفتح المسجد الأقصى، النبي صلى الله عليه وسلم صلى إمامًا هناك بكل الأنبياء، في المسجد الأقصى، هذا دليل أننا استلمنا الراية، ((والأقصى معيار التمكين في الأرض))، نحن استلمنا راية التمكين في الأرض، فسورة الإسراء فيها معانٍ كثيرة مثل: التحضير لإقامة الدولة المسلمة، فيها الوصايا، القصاص، البعد عن الزنا، الوصايا –التي يسمونها الوصايا العشر– ذُكرت في سورة الإسراء، فكأن فيها تجهيز لمرحلة التمكين، وبداية نزول التكاليف في المدينة، سورة النجم لا تتحدث عن هذا الأمر – طبعًا أقصد أغلب السورة– لكن فكرة (موضوع السورة الأوحد) هذا يحتاج طول تأمل، وطول تدبر، أنت يمكن أن تلتقط معنىً من المعاني في السورة، وقد تكون السورة فيها أكثر من معنىً غيره.

عندما نتأمل في سورة النجم، ما هي الملاحظات التي نلاحظها؟ ما هي الألفاظ المتكررة في سورة النجم؟ ما الذي تميزت به سورة النجم؟ تأملوا معي في السورة، ما هي الألفاظ المتكررة؟ ما هي المعاني التي انفردت بها؟ قلنا مثلًا: من المعاني التي انفردت بها، أنها تكلمت عن المعراج. وماذا أيضاً؟ بدايتها بقسم، ختامها بالسجدة، الاستفهام فيها كثير –وإن كانت أكثر سورة وردت فيها استفهامات على حسب عدد الآيات أي بالمقارنة بعدد الآيات، كانت (سورة الملك) السورة ثلاثون آية، تقريبًا عدد الاستفهامات من اثني عشر إلى أربعة عشر، أي أن نصف السورة تقريبًا استفهامات.

من الألفاظ التي تكررت في سورة النجم، وجعلتها محط أنظار المفسرين، ولا سيما من المتأخرين الذين يحاولون التأمل في مسألة التفسير الموضوعي للسورة، وجدوا مسألة العلم والظن، وأعلى درجات العلم (الرؤية) وجدوا أن هذه الألفاظ تكررت كثيرًا جدًا في السورة، تكررت مسألة العلم والرؤية والظن. هنا يوجد مسألة العلم القطعي وليس أي علم، فسورة النجم تعلو بك إلى مرحلة في الإيمان عالية جدًا، ترتفع بك فوق سبع سماوات.

سورة النجم تصل بك إلى مرحلة من اليقين القطعي، لأن السور التي قبلها سورة الذاريات (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(5)). السورة أيضًا التي قبلها، سورة الطور (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7)) كلها يقين، هذه الأقسام المليئة باليقين، ما مصدر هذا اليقين؟

تأتي سورة النجم لتبين مصدره وتؤكد لديك هذا اليقين.

من الفلسفة التي انتشرت هذه الفترة؛ ما هي مصادر المعرفة؟

يقولون: من أين يكتسب الإنسان المعرفة؟ وهذا قد يستفيد منه المسلم في نقاشه مع الملحدين عندما يسألون هذا السؤال، فسورة النجم توضح أن أعلى درجات العلم يأتي من ((الوحي))، وأن ما سوى ذلك هو ظن، وأن عقائد المشركين كلها كانت مبنية على الظن

"إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ" تكررت مرتين في السورة، بصيغة التأكيد (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ)[النجم: 23] و(إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)[النجم: 28] تكررت في السورة بالرغم من أن السورة لا تعتبر كبيرة، صفحتين ونصف لا تعتبر طويلة، فأن يتكرر فيها هذا المعنى فهو تأكيد لمسألة تكرار العلم والرؤية وعكسهم الظن.

السورة عندما تكلمت عن أعلى وسائل المعرفة، تكلمت عن (الوحي) وبينت أن ((الوحي هو طريق اتصال مباشر))، أن الله سبحانه وتعالى أوحى لسيدنا جبريل عليه السلام، وسيدنا جبريل أوحى للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا الأمر قد تم عن طريق الرؤية. وقد مرالوحي بمراحل كثيرة على مدار ثلاثة وعشرين عامًا، وهنا في سورة النجم ذكر أعلى نقطة وصل لها النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة المكان، عند سدرة المنتهى.

ودائمًا يشترط المحدثون لكي يكون الحديث صحيحًا، أن يكون كل راوٍ معاصرًا للراوي الذي يُحَدِّث عنه، يشترطون ما يسمى (المعاصرة)؛ مثلًا حدثني فلان عن فلان.

أحاديث الحسن البصري عن الصحابة –الحسن البصري من التابعين– فمثلًا أحاديث الحسن عن بعض ♣♣التابعين،♣♣ فيقولون هل الحسن أدرك أو عاصر هذا الصحابي؟

الإمام البخاري يشترط أمرًا أعلى –لذلك أحاديثه في أعلى درجات الصحة– لا يشترط فقط المعاصرة وإنما (المعاصرة واللقاء)، فربما كانوا في نفس العصر ولم يحدث التقاء.

غيره لا يشترط اللقاء، غير البخاري يقول: بما أن هذا الرجل عدل، صادق، ومعاصر، وقال عن فلان فهو ليس مدلسًا ويعتبر عندهم سمع مباشرة –هذه مسألة في علم الحديث.

البخاري يشترط اللقاء، هنا حصل المعاصرة واللقاء والرؤية مرتين بين النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا جبريل عليه السلام (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ)[النجم:13] أعلى درجات الاتصال المباشر، وهذا هو سند الوحي الذي بين يديك.

كل هذه مازالت ملامح عن السورة.. وأيضًا نجد في آخر سورة الطور، الآية الجميلة التي تسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) [الطور:48] آية يتمناها كل إنسان أن يناله نصيب منها.

هناك مقامات للأنبياء خاصة بالأنبياء، لا يزاحمهم فيها بشر، وهناك مقامات للأنبياء للمؤمن نصيب –لكن لن يصل إلى تمام هذا المقدار– للمؤمن نصيب منها على قدر اتباعه، فعندما تسمع (فإنك بأعيننا) أو (ما ودعك ربك وما قلى) [الضحي:3] أنت لك نصيب من هذه الآيات على قدر اتباعك للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن كنت لن تصل إلى نفس الدرجة، فعندما تسمع (فإنك بأعيننا) تمام الحفظ والرعاية، فإنك تتمنى أن يقال لك هذه اللفظة وهذا المعنى، فإذا أردت هذا فعليك بالتسبيح ومداومة الطاعة، أعلى درجات الولاية والرعاية و(فإنك بأعيننا) أعلى درجة إن ربنا ينزل على النبي –صلى الله عليه وسلم– الوحي، فكذلك أعلى درجة لتنال المعية والرعاية أن تتمسك بهذا الوحي.

هذا عن علاقة سورة النجم بالسورة التي قبلها.

هيا نبدأ درس اليوم، طبعًا لإن سورة النجم ٦٢ آية فإذا وقفنا معها آية آية ، فلن نتمكن في مجلس واحد، ولذلك سننتقي بعض الوقفات من السورة، وسيكون المجلس ((وقفات مع سورة النجم)).

سورة النجم بدأت بقسم (والنجم إذا هوى) ، سورة النجم مثل ما قلت لكم فيها كلام عن ربنا عالٍ جدًا وكما قلت لكم عندما قرأ النبي –صلى الله عليه وسلم– سورة النجم سجد المسلمون والمشركون نتيجة أثر لا يملكه الإنسان، أي حدث أثر لا يملكه، والمشرك بعد ما سجد ندم.

فعندما ننتهي من سورة النجم ولا تجد عندك شعورًا أنك تريد أن تسجد؛ هذا معناه أنه يوجد إشكالية! أنت هنا لم تتلقَّ التلقي الصحيح لسورة النجم، فعندما تسمع سورة النجم مثلًا للحصري، أو لقارئ آخر أنت تحبه، وأنت جالس مع نفسك ولا تشعر بأثر في قلبك، شعور أنك تتمنى أن تسجد.. تريد أن تسجد، بداخلك مشاعر تحركك باتجاه السجود، هذا المعنى إذا لم تجده بداخلك، إذًا هناك إشكالية في علاقتك بسورة النجم، هذا ليس الاتصال المباشر والأفضل بسورة النجم.

سورة النجم عندما تجمع فيها الكلام عن ربنا، الله عز وجل يملك كل شيء، يفعل كل شيء سبحانه وتعالى، الإنسان من غير ربنا لا شيء، وأن أي شيء غير ربنا لا شيء، أي شيء لم يأت من عند ربنا، مجرد هراء، مجرد ظن.

فعندما تقرأ (أم للإنسان ما تمنى) [النجم:24] هل أنت تعتقد أن أمانيك التي تتحقق؟! (فلله الآخرة والأولى) [النجم: ٢٥] الملائكة نفسها لا تملك شيئا إلا بإذنه، (وكم من ملك في السماوات)[النجم: ٢٦] ولم يقل هنا في الأرض، وأيضا ملائكة السماوات لا تغني شفاعتهم شيئًا، إلا من بعد أن يأذن الله، الله عز وجل هو الذي يحقق الأماني، الله عز وجل هو الذي يأذن للملائكة أن تشفع (ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) [النجم:31] لله ما في السماوات وما في الأرض.

(وأن إلى ربك المنتهى) [النجم:42] من الآيات العظيمة التي في السورة، ((إليه ينتهي كل شيء))، الأسباب تنقطع... العلم... كل شيء ينتهي إلى الله ، الله عز وجل يملك كل شيء، والنهاية إليه سبحانه وتعالى، ينقطع كل شيء عنده سبحانه وتعالى، هو الأول والآخر.

آية (وأن إلى ربك المنتهى) هذه آية تبحر فيها، ولكي تفهم ماذا تعني؟ " وإن إلى ربك المنتهى" اقرأ الأيات التي بعدها:

"وَأَنَّهُ هُوَ أَضحَكَ وَأَبكَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحيَا ۝ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوجَينِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ۝ مِن نُطفَةٍ إِذَا تُمنَى ۝ وَأَنَّ عَلَيهِ النَّشأَةَ الأُخرَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَغنَى وَأَقنَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرَى"

[النجم: ٤٣-٤٩]

أهلك وفعل وفعل سبحانه وتعالى تطويف في قدرة ربنا ، الآيات المتتاليات الصواعق القصيرة هذه، لا تعطي فرصة للذهن أنه يفلت، وهذه ميزة (المفَصَّل) أنه يخطف القلوب، قوارع، تقرع القلوب، فعندما تقرأ هذه الآيات المتتالية وراء بعضها، كلام متتالٍ عن ربنا سبحانه وتعالى، ولا تشعر بداخلك برغبة في السجود يعني أن هناك إشكالية، توجد إشكالية في علاقتنا بالله، الكلام عن ربنا عندنا فيه قصور، نحن محتاجون أن نسمع عن ربنا، محتاجون أن نعطي لأنفسنا فرصة نتأمل في خلق الله، في أفعاله سبحانه وتعالى، مثلما طوفت الآيات هنا في كل شيء، حتى في داخل النفس، حتى مشاعر الضحك والبكاء، وإن كان بعضهم قال: "أضحك" أي بإدخال الجنة، و"أبكى" أي بإدخال النار، إن أعلى فرحة هي دخول الجنة، وأسوأ حزن –والعياذ بالله– هو دخول النار، هذا مثال لأعلى فرحة وأصعب حزن لكن حتى بداخل النفس البشرية، هذه المشاعر التي تتحرك باتجاه السعادة وأنت قد لا تعلم لها سببًا، الله عز وجل هو الذي يحركها، ويفعل كل شيء سبحانه وتعالى.

بدأت السورة بقسم (والنجم إذا هوى ۝ ما ضل صاحبكم وما غوى) [النجم:2,1]

السؤال الأول ما هو؟ والنجم إذا هوى، السؤال الثاني: ما علاقة القسم بالمقسم عليه؟ دائمًا نجد في القرآن علاقة بين القسم والمقسم عليه، فهنا ربنا سبحانه وتعالى أقسم (بالنجم إذا هوى) ما هو جواب القسم؟ «««« (ما ضل صاحبكم وما غوى) حتى نفهم العلاقة، لابد أن نفهم ما معنى والنجم إذا هوى؟

بعض المفسرين وإن لم يكونوا الأكثر قالوا ما هو النجم؟ من المفسرين من قال: النجم ليس هو النجم العادي -أنا سأبدأ بالقول غير المشهور وسننتهي بالقول الأشهر- قالوا: النجم في قول ربنا سبحانه وتعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) [الواقعة:75]

قالوا هذه نزول القرآن، والقرآن نزل منجمًا أي مفرقًا، فكلمة النجم أحيانًا بمعنى التفريق، فالنجم إذا هوى أي مواضع نزول القرآن، والقرآن نزل مفرقًا، فالله عز وجل أقسم بنزول القرآن على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يضل، فما سبب حفظ النبي -صلى الله عليه و سلم- من الضلال؟ هو نزول القرآن، ليس هذا القول الأشهر وليس هذا الذي أميل إليه، أنا ذكرته فقط لتعلموه إذا قابلكم في التفاسير.

وآخرون قالوا النجم هو النجم المعروف، هل هو نجم خاص نجم الثريا؟ أو نجم كان يُعبد من دون الله؟ أو نجوم كانوا يهتدون بها في السماء؟ أو أي نجم؟ على خلاف.

إذًا ما معنى (والنجم إذا هوى)؟ بعضهم قال: (والنجم إذا هوى) لحظة نزول النجم لإحراق الشيطان (الشهب)، وأن النجوم لها وظائف معينة ذكرها ربنا سبحانه وتعالى في القرآن، قالوا لها ثلاث وظائف: {زينة للسماء ويهتدى بها وشهاب للشياطين} فإن لحظة الهوِي هي لحظة انقضاض النجم على الشيطان، فقالوا لحظة قتل النجم للشيطان هي لحظة بزوغ نور النبي -صلى الله عليه و سلم- و مقارعته للباطل، فقالوا هنا توجد علاقة بين لحظة انقضاض النجم على الشيطان فأحرقه بنوره، فكذلك نور النبوة الذي أحرق الشياطين، فقالوا هذه علاقة.

و بعضهم قالوا: (النجم إذا هوى) هذا يوم القيامة كما قال تعالى: (وإذا النجوم انكدرت) [التكوير:2]

فقالوا: هنا معنى انكدار النجوم وهذا فيه تخويف، فأنتم تتهمون النبي –صلى الله عليه وسلم– بالضلال والغَي فإذا ظللتم على ذلك سيأتي يوم القيامة وستعاقبون.

وبعضهم قال: (النجم إذا هوى) النجم الذي هو زينة ويُهتدى به، لكن لم يتكلم عن الهوي، وهذا ما قاله الشيخ السعدي قال: فكما أن النجوم زينة للسماء و يهتدى بها، فكذلك النبي –صلى الله عليه و سلم– زينة في الأرض ويُهتدي به. والرابط ما بين نجوم السماء ونجوم الأرض –وهم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته– هذا موجود في السنة وموجود أيضًا في القرآن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما توعد)[4]، فالنبي صلى الله عليه وسلم ربط ما بين النجوم و بينه صلى الله عليه وسلم.

و أيضًا كما ذكرنا قبل ذلك في آخر سورة الفرقان، قال ربنا سبحانه وتعالى: (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) [الفرقان:62]

الآية التي قبلها (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجًا و قمرًا منيرًا) [الفرقان:61]

وبعدها قال: (وعباد الرحمن) فكما أن الله عزوجل جعل في السماء سراجًا و قمرًا و بروجًا يُهتدى بها، فكذلك جعل في الأرض أناسًا كالشموس تضيء للناس في الأرض الذين هم عباد الرحمن، لكن يرد على هذا أن ربنا لم يقسم بالنجم إذا أضاء، ولذلك بعضهم قال "الهوِي" حتى يوافقها مع النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا قال: هوى بمعنى (سجد) وأن

[4] [عن أبي موسى الأشعري عبدالله بن قيس:] صَلَّيْنا المَغْرِبَ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنا: لو جَلَسْنا حتَّى نُصَلِّيَ معهُ العِشاءَ قالَ فَجَلَسْنا، فَخَرَجَ عَلَيْنا، فَقالَ: ما زِلْتُمْ هاهُنا؟ قُلْنا: يا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنا معكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنا: نَجْلِسُ حتَّى نُصَلِّيَ معكَ العِشاءَ، قالَ أَحْسَنْتُمْ، أَوْ أَصَبْتُمْ قالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّماءِ، وَكانَ كَثِيرًا ممّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّماءِ، فَقالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّماءِ، فَإِذا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتى السَّماءَ ما تُوعَدُ، وَأَنا أَمَنَةٌ لأَصْحابِي، فَإِذا ذَهَبْتُ أَتى أَصْحابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذا ذَهَبَ أَصْحابِي أَتى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ.

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٥٣١ • [صحيح]

النجوم تسجد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن (الشمس) تسجد، قال: (أتدرون أين تبيت هذه، قال: ساجدة تحت العرش)[5]، فربط بين أول السورة (والنجم إذا هوى)، سجود النجوم وقال إن السجود ليس خاصًّا بالشمس بل لكل النجوم وربطها مع آخر السورة "واعبدوا"... (فاسجدوا لله واعبدوا) [النجم:62]

ربط بين السجود في أول السورة وفي آخر السورة.

والله أعلى وأعلم، أظن –أنا لم أقرأ هذا القول لكن أظن– الرابط بين (والنجم إذا هوى) وبين (ما ضل صاحبكم وما غوى) النجم قالوا يستفاد منه في ماذا؟ في الزينة، وفي الاهتداء، وفي حرق الشياطين، هذه الثلاثة أشياء، فكأن الله عز وجل يقول هو القسم على نفي الضلال ونفي الغواية عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ماذا لو قلنا هوى بمعنى غاب الذي هو المعنى الأشهر في اللغة، وأيضا هوى بمعنى انكدر يوم القيامة، وكذلك هوى بمعنى سجد، وهوى بمعنى أحرق الشياطين، المعاني الثلاثة التي قلتها ليست هي الأشهر، إذًا ما هو الأشهر؟ "هوى" بمعنى غاب اختفى من الأفق، النجم يغيب، فكأن الله عزوجل يخبرنا أن النجم قد تمر عليه لحظات ويغيب ويأفل، لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– لن تمر عليه لحظات ويضل ويغوي أبدًا، أي الاهتداء الحسي قد يُفقد لكن الاهتداء بنور الوحي لن يُفقد طالما النبي – صلى الله عليه وسلم– موجود، فالله عز وجل حفظ القرآن من التبديل ومن التغيير، هذا ظني والله أعلم العلاقة بين القسم والمقسم عليه.

(ما ضل صاحبكم وما غوى) [النجم:2]

4- [عن أبي ذر الغفاري:] عن أبي ذرٍّ قال كنتُ رَدِيفَ رسولِ اللهِ ﷺ وهو على حمارٍ والشمسُ عندَ غروبِها فقالَ هلْ تدرِي أينَ تغربُ هذه قلت اللهُ ورسولُه أعلمُ قال فإنها تغربُ في عينٍ حاميةٍ تنطلقُ حتّى تخِرَّ لربِها عزَّ وجلَّ ساجدةً تحتَ العرشِ فإذا حانَ خروجُها أَذِنَ اللهُ لها فتخرجُ فتطلعُ فإذا أرادَ أن يُطلعَها حيثُ تغربُ حبسَها فتقولُ يا ربِّ إنَّ مَسيرِي بعيدٌ فيقولُ لها اطْلُعِي من حيثُ غبتِ فذلكَ حينَ لا ينفعُ نفسًا إيمانُها "

الألباني (١٤٢٠ هـ)، السلسلة الصحيحة ٥٢٨/٥ • إسناده صحيح على شرط مسلم

صاحبكم هو النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: ما الفرق بين الضلال والغواية؟ بعضهم قال الضلال "العلم"، والغواية "القصد"، أي ممكن شخص عنده علم فيضل هنا لا نسميه "ضال" ولكن نسميه "غاوٍ" أي هو في غواية والعياذ بالله لأنه يعلم لكن اختار الضلال عن علم مثل من؟ اليهود المغضوب عليهم، ولذلك النصارى لما ضلوا عن جهل ما اسمهم؟ "ضالين"، فنحن نقول "غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، النصارى ضلوا بجهلهم، واليهود ضلوا عن علم فسُموا "المغضوب عليهم" اليهود، والنصارى سُموا "ضالين"، (ما ضل صاحبكم) أي عنده علم، النبي -صلى الله عليه وسلم- عنده علم وعنده حسن القصد والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فالإنسان ينجو

بهما أن يكون عندك علم وعندك إخلاص نية أن تصل إلى الله سبحانه وتعالى.

إذًا العلم وحده ليس كافيًا، العلم بدون حسن القصد، والإخلاص، وحسن النية، يؤدي إلى "الغواية"، وحتى يوافق لفظ الآية، يؤدي إلى ماذا؟ الغواية، حسن القصد بغير علم قد يؤدي إلى "الضلال".

إذًا العلم مع نية فاسدة يؤدي إلى غواية -والعياذ بالله- وحسن القصد بغير علم قد يؤدي إلى الضلال، لكن لو معذور؟ حسن القصد ومعذور يُهدى بتوفيق من الله سبحانه وتعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى)

لأن الإنسان أغلب كلامه يريد به أن يفعل ما يهواه، لذا ربنا يقول: إن كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن عن الهوى.

والدليل على ذلك أن هناك آيات يعاتب اللهُ النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها، فإن كان هذا الكلام من عند نفسه كيف يعاتب نفسه؟! كان من الممكن أن يُخفي النبي آيات العتاب، هناك آيات في القرآن فيها عتاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قام بخلاف الأَولَى، فإن كان من عنده لم يكن ليقول هذه الآيات، هل يُعقَل من أحدٍ كذاب أو مُدَلِّس

-وحاشاه صلى الله عليه وسلم- ويريد من الناس أن تتَّبعه أن يقول آيات تظل تُتلى إلى يوم القيامة وفيها عتاب له! هذا دليل على أنه من عند الله -سبحانه وتعالى- وأنه -صلى الله عليه وسلم- ما ينطق عن الهوى.

(إن هو إلا وحيٌ يُوحى) [النجم:4]

هذا الوحي وحي عِلمٍ، جاء من عند الله -سبحانه وتعالى- لجبريل الأمين، "شديد القُوى"، "ذو مِرَّة" أي: قوي، أو حَسَن الجمال، استوى بالأفق الأعلى، واقترب من النبي -صلى الله عليه وسلم- في أول اللحظات، ودنا وتَدلَّى، واقترب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى منه؛ فتَمَّ الوحي، أعلى درجات الاتصال واللقاء حصلت ما بين سيدنا جبريل وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- ووصل الوحي.

والذي يُكرمه الله ويتشرف بسَنَد في القرآن تجد معه السَّنَد أخذه من فلان، من فلان، من فلان، حتى يصل إلى حفص عن عاصم، حتى يصل إلى الصحابي ويقول: عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، عن رب العزة، معك القرآن سَنَد متصل.

(فأوحى إلى عبده ما أوحى) [النجم:10] القرآن الآن هو اليقين الأوحَد في الأرض كعِلم، هذا هو اليقين؛ لذلك قراءة القرآن فقط كافية لإثبات أن القرآن من عند الله، وقراءة التوراة والإنجيل كافية لإثبات أنها مُحرَّفة، أي: لا نحتاج لشيء للإثبات، أنت إذا أردت فبدون أبحاث أو مخطوطات أو أسانيد، أو أي شيء، مجرد قراءة القرآن تقول: هذا الكتاب من عند الله، هذا الكلام ليس بشعر.

كنت أقرأ من فترة قريبة عن قصة إسلام أحدٍ ما، فكان يتعجب، كان عنده اعتقاد أن القرآن كلام الشياطين نزل على محمد –حاشاه صلى الله عليه وسلم– مثلما يَدَّعِي النصارى، فيقول: أنا فوجئت أن أغلب القرآن ذَمٌّ في الشياطين، وذَم في الباطل، وعن أهمية اتّباع الحق، وأهمية التوحيد، وأهمية الأخلاق الطيبة، لا أحد يريد أن يَسُود ويقول هذا!

لذلك دائمًا كان هناك فارِق بين المِلك والنبوة، وكان الأعداء دائمًا يحاولون أن يُفرِّقوا هل الذي يتكلم مَلِك يريد سلطانًا أم نبي؟ أي: هل هومَلِك يبحث عن أتباع فقط، أم نبي يبحث عن هداية الناس؟ وهذا ليس معناه أن النبوَّة لا يأتي معها مُلك، بل هناك مُلك وهناك دولة قامت، ولكن هل هو مَلِك فقط، أم هو نبي جاء بوحي من الله سبحانه وتعالى؟

فكثير من الناس أَسلم فقط بقراءة القرآن، بل هناك إحصائيات كثيرة تمَّت عند الغرب عن أكثر شيء عندما يتم توزيعه يجعل الناس تُسلِم، وجدوه القرآن فقط.

أحيانًا الكتب والشرائط لا تجعل الناس تُسلِم، وعندما يُقرأ القرآن يُسلِم الكثير، هناك قصص كثيرة جدًّا لا تُحصَى، وانتبه أن الذي يقرأ القرآن هو يقرأ الترجمة التي هي في الأصل مليئة بالأخطاء! لكنه يشعر أن هذه المعاني يحتاجها كنفس بشرية، ليست موجودة عنده وهو يفتقدها، عنده كل شيء: عنده نظام ودقة وإتقان ودنيا، وتَقدُّم، لكنه يشعر أن هناك شيئًا ينقصه، كإنسان مفطور يوجد بداخله شيء ناقص؛ يجده في القرآن مباشرةً، يشعر بشيء لامَسَ شيئًا مفقودًا بداخله؛ فيُسلِم مباشرةً بعد أن يجد هذه المعاني في القرآن.

تخيَّل أنت عربي والمفترَض أنك تملك القدرة والأهلية لتتعلم اللغة وتتذوق هذه المعاني، العرب أحيانًا لم يستطيعوا أن يملكوا أنفسَهم من سماع القرآن، كانوا يذهبون ويستَخْفون؛ حتى يسمعوا القرآن.

القرآن له أثر، كانوا يقولون عن القرآن سحر، لماذا؟ لأن له أثر، نحن لم نَعُد نشعر بهذا الأثر، أصبحنا فاقدين للغة، لدينا عُجمة في الألسنة، وفاقدين القلب المنتظِر لسماع هذه المعاني؛ وبالتالي لا نشعر بهذا الأثر.

(فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى) [النجم:10,11]هنا نجد أن التأكيد على مسألة ماذا؟ اليقين والعلم.

ومثلما قلنا –أنا لا أريد أن أجعل الدرس فلسفيًّا– قضية مصادر المعرفة وما هي الوسائل التي يكتسب بها الإنسان المعرفة، هل التجربة فقط؟ أم الدنيا فقط؟ هناك أناس في الوقت المعاصر يقولون لك: المعرفة اليقينية تأتي عن طريقٍ واحد فقط وهو التجربة، وأن العالَم هو عالمٌ مادي فقط، وأن أيّ يقين، عندما تحب أن تقنعني بشيء، تريد أن تقنعني أن هناك إلهًا إذًا أرِني إياه، قُم بعمل تجربة تُثبت أن هناك إله، كذلك عندما تريد أن تُثبت أن هناك وحي، أيّ معنى لا يُجرَّب ولا يُرَى أنا لا أُصدِّقه، ستقول لي: ملائكة، ستقول لي: جن، ستقول لي: شياطين، ستقول لي: إله، لا أُصدقه، ما دام ليس هناك أشياء حِسّية فأنا لا أُصدق.

بعيدًا عن أنهم يناقضون أنفسهم؛ لأن نظرية داروين –أي: كلمة التجربة أو كلمة النظرية– حتى تتحول إلى حقيقة وضعوا لها شروطًا معينة، هذه الشروط في الأصل غير منطبقة عليها، ورغم ذلك هو صدَّقها أي: حَوّل داروين إلى عقيدة بالرغم من أنه يُنكر العقائد، بعيدًا عن أنه في الأصل متناقض مع نفسه؛ فهذه النوعية من الناس ماذا قال ربنا عنهم في السورة؟

بالرغم من أن السورة تتكلم عن أعلى مصدر من مصادر العلم والمعرفة، قال على هذه النوعية: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحياة الدنيا﴾[النجم:29] الذي لا يريد إلا الدنيا فقط، الذي يعيش داخل هذا العالم، هذه الدنيا بالنسبة له صندوق مغلق لا يوجد شيء خارجها، نحن بالنسبة لنا الدنيا جزء صغير جدًّا من الآخرة، من الغيب، هناك ملائكة، هناك إله، هناك عرش، هذا اعتقاد المؤمن، أما هو فالدنيا عنده صندوق مغلق، كل شيءٍ بداخلها، لا تُحدثني عن أيّ شيءٍ خارجها، هذه مشكلة الملحد، لذا يقول ربنا أن هذه الشخصية التي تُصرّ على هذه العقلية لن تتفق معها، أنت تسلك طريقًا وهو في طريق آخر، لن يحصل بينكم اتفاق أبدًا.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ السورة تتكلم عن العلم، هذا آخره في العلم أنه سيكون عنده بعض العلم، لكن سيكون هذا آخره الذي هو منطقة ماذا؟ منطقة الدنيا، هو سيكون مُتقِنًا في هذه المنطقة كما قال تعالى عنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الروم:7]، لكن بالنسبة للمنطقة الأخرى: منطقة الغيب، منطقة الوحي، منطقة النفس، هذه المنطقة هو لن يكون عنده شيء فيها، لا تنتظر منه شيئًا.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ(12)﴾ [النجم] ليس على ما يَعلَم، بل على "على ما يرى" أعلى درجات العلم: الرؤية.

انتبه إلى ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ السورة تخاطب إنسانًا أو من الممكن أن يقرأ السورة إنسان مجادِل ويُماري، آخر السورة –بعد أن طوّفت به السورة– تقول له: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾[النجم:55]، لو أنت كنت تُماري في البداية تقول لك السورة في آخرها:

أمازلت على موقفك؟ أحيانًا السور تبدأ بمشكلة وطَرقات متتالية وتأتي لك في آخر السورة: أين أنت الآن؟ تأثرت أم أين أنت؟

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أنتم تجادلون على رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم– لجبريل فجاءت الآية التالية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم:13]، لذلك قالوا أن سورة النجم من أعلى السور التي تكلمت عن الرؤية مرتين، تكلمت سورة التكوير عن رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم– لجبريل مرة واحدة: (ولقد رآه بالأفق المبين) [التكوير:23] مرة واحدة، أما سورة النجم بالرؤية أعلى؛ لأنها تكلمت عن الرؤية مرتين.

(عند سدرة المنتهى) [النجم:14] أريدك أن تعيش هذا المعنى، من أجمل الكتب التي تجعلك تعيش في معنى كلمة سدرة المنتهى وأنصحكم أن تقرأوه، أنا أريد أن أنصحكم نصيحتين اليوم:

* أن تسمعوا سورة النجم للحصري وحدكم في مكان خالٍ وتكون وحدك تمامًا.

* وأن تقرأوا تفسير سورة النجم للدكتور فريد الأنصاري في كتاب مجالس القرآن الجزء الثاني، تقرأه أيضًا براحة وتَأنٍّ تام، أي: أريدك أن تقرأ وتتأمل الكلام كلمة كلمة، هو تَكلَّم عن سدرة المنتهى.

طبعًا هو كل الذي قام به أنه جمع الأحاديث، الأحاديث التي وردت في المعراج أحاديث رائعة، وأكثر شخص جمع الأحاديث؛ [لأن منها كثير جدًّا ضعيف، الصوفية يحبون هذه المنطقة، ومن أقوالهم: تَقدَّم وإذا تقدَّمت أنا احترقت وأنت إذا تقدمتَ اخترقت، لديهم بعض الروايات في هذه المنطقة] الشيخ الألباني قام بعمل رسالة في الإسراء والمعراج جَمَع الروايات الصحيحة التي وردت في الإسراء والمعراج، له رسالة وموجودة على الإنترنت.

أنت عندما تقرأ للدكتور فريد الأنصاري وهو يتكلم عن سدرة المنتهى وعن سيدنا جبريل أنا بالفعل أحببت سيدنا جبريل، أنا من مدة طويلة لم أسمع أحدًا أخذ يُكلمك عن سيدنا

جبريل ويكلمك على المشهد المهيب الذي حصل في رحلة المعراج.. عندما وصل النبي -صلى الله عليه وسلم- لسدرة المنتهى وجد شجرةً عظيمة الثمار مثل القِلال، كانوا يسمونها قِلال هِجَر، قِلال كبيرة جدًا، والأوراق شبَّهها النبي -صلى الله عليه وسلم- بآذان الفُيول أوآذان الفِيَلة، يقول: فلما تَغَشَّاها نور الله، أو لما تَغَشَّاها الله -أي: نور الله- زادها حُسنًا، لا يستطيع بشر أن يصفها، أي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الوقت رأى مشهدًا لم يستطع أن يصفه، ولا أحد يستطيع أن يصفه.

وقال إن سيدنا جبريل في هذه اللحظة كان ينزل من أجنحته التهاويل الدُّر والياقوت، مشهد لا يُوصَف عندما تعيشه، مشهد سيدنا جبريل أنه أصبح في ستمائة جناح، وتَنزِل من أجنحته الدُّر والياقوت، ثم يصبح حينما اقترب كالخِلس البالي —شيء مثل قماش مُقَطع- من خشية الله، مشهد عجيب لسيدنا جبريل مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا المكان، فهل أنتم تجادلون في هذه الرؤية؟!

العجيب أن في هذا المكان الله -سبحانه وتعالى- يصطفي عبادة الصلاة في هذا المكان، تريد أن تَصِل بقلبك إلى هذا المكان؟ صَلِّ بشكل صحيح، تريد أن تعيش هذه المعاني بقلبك؟ صَلِّ بشكل صحيح، تريد أن يَعرُج قلبك هذه الرحلة؟ تحتاج أن تصلي بشكل صحيح، السورة خُتِمت: "فاسجدوا" تحتاج أن تسجد بشكل صحيح، تحتاج أن تصلي بشكل صحيح، الذي يحافظ على الصلاة بشكل صحيح هو الذي يَصِل إلى هذه المرحلة، للأسف مع تكرار الصلاة يوميًّا فقدت الصلاة قيمتها.

مشهد أن سيدنا النبي -صلى الله عليه وسلم- تُفرَض عليه الصلاة ويَنزِل، وسيدنا موسى يقول له: ارجع إلى ربك ويصعد، بعد أن كانت خمسين صلاة تصبح خمس صلوات.

هناك خلاف هل النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الرحلة رأى ربه أم لم يرَ ربه؟ منهم من قال: لم يرَ ربه -وهذا هو الأَشهر- وأن الله -عز وجل- كلّمه في هذه الرحلة كما كلَّم موسى بغير واسطة، لماذا سيدنا موسى اسمه كليم الله؟ لأن الأنبياء كان يُكلمهم الله بماذا؟ بوحي، بواسطةٍ مع سيدنا جبريل، سيدنا موسى سَمِع كلام الله، سَمِع الكلام مباشرةً بدون واسطة، فقالوا: أيضًا في هذه الرحلة النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع كلام الله، فقالوا: ليس هناك خاصية جاءت لأحد من الأنبياء أو اصطفاء إلا وللنبي -صلى الله عليه وسلم- مثله.

فبعضهم قال: هو خُصَّ بالتكليم، وبعضهم قال: رأى ربه ولكن بقلبه، استشعار معين حدث في قلبه، لكن لم يره بعينه، وهذا مروي عن ابن عباس، لكن أمنا عائشة في صحيح مسلم أنكرت ذلك، وابن عباس قال: رأى ربه بقلبه مرتين، وبعض الناس ذَكروا أنه رأى ربه بعينه في هذه الرحلة حقيقةً، وهذا الأقل، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أنكر ذلك، وكذلك الإمام البغوي قال: لم يَرِد عن أحد من الصحابة، وإن كان وَرَد حقيقةً، المسألة فيها خلاف طويل.

الشاهد أن ابن حجر يَذكر عن بعض الشراح يقول: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما كان ينزل لسيدنا موسى، أن أحد أسباب أن سيدنا موسى كان يقول له أن يصعد مرة أخرى لم يكن فقط من أجل الصلاة، ولكن لأن سيدنا موسى طلب الرؤية و أُعطِي الكلام فتلذَّذ بالكلام؛ فيريد للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يتلذذ بما تلذذ به، يريده أن يصعد مرة أخرى ويسمع كلام ربنا، أو يصعد مرة أخرى ويراه على مذهب الذين قالوا أنه يراه، بما أن موسى -عليه السلام- لم يُؤتَ الرؤية فكان يريد للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يتمتع أكثر، كان يريده أن يصعد من أجل ماذا؟ هذا الشرف.

أيًا كان فسورة النجم تريد قلبًا لا شرحًا، أنت بعد أن تقرأ التفسير، أو تقرأ السعدي لِمَن ليس عنده الوقت لفريد الأنصاري، الشيخ السعدي في السورة جيد أيضًا، أو تقرأ الظِّلال، المهم هو أن تقرأ تفسير السورة وتسمعها من الحصري ثم تجلس مع نفسك تصلي بها، اجلس في ليلة وصَلِّ بسورة النجم، عِش مع المعاني التي في سورة النجم.

(عند سدرة المنتهى) التي ينتهي إليها الخلائق، والمشهد المهيب الذي يحدث في هذه السورة، وقيل: منتهى الآمال الطَّيبة تَصِل، أنت أمنيتك أن تصل إلى هذا المكان.

(عندها جنة المأوى)[النجم:15]المأوى دائمًا فيه تستريح، تأوي إلى هذا المكان.

(عند سدرة المنتهى *عندها جنة المأوى* إذ يغشى السدرة ما يغشى) عندما حدث: (إذ يغشى السدرة ما يغشى(16)) من نور الله وتَغيَّرت هذه السدرة: (ما زاغ البصر وما طغى(17))، قالوا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان مُطالَبًا أن ينظر هنا؛ فنظر في المكان الذي هو مُطالَبٌ بأن ينظر إليه فقط، لم يلتفت يمنةً أو يسرةً، أو لم ينظر ببصره إلى أبعد من ذلك، فقالوا: هذا التزام مقام العبودية في الوقت الذي فيه القلب يتَشوَّف أن يطلب.

حتى أن بعض العلماء كان يقول: إنّ سيدنا إبراهيم قال: (رب أرني كيف تحيي الموتى) [البقرة:260]، وسيدنا موسى قال: (رب أرني أنظر إليك)

[الأعراف:143] لكن ربنا قال عن النبي -صلى الله عليه وسلم: (ما زاغ البصر)، أي أن كل واحدٍ من الأنبياء عندما كان يصل إلى مقامٍ كان يطمح لمقامٍ أعلى، سيدنا إبراهيم طلب: (أرني كيف تحيي الموتى)، سيدنا موسى طلب: (أنظر إليك)، النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يطلب، فبماذا وصفه ربنا؟ (ما زاغ البصر وما طغى) كان أعلى مقام، مقام ماذا؟

(وما منا إلا له مقام معلوم) [اية :164] في آخر سورة الصافات، كل شخص له مقام يرتضيه: (فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين) [الأعراف:144].

(إذ يغشى السدرة ما يغشى (16) ما زاغ البصر وما طغى(17)) لم يلتفت يمنة ولا يسرة، وهذا مهم وهو أن تَرضى بقَسْم الله لك.

(لقد رأى) انظر كيف أن الرؤية تكررت كثيرًا.

(ما كذب الفؤاد ما رأى (11) أفتمارونه على ما يرى (12) ولقد رآه), (لقد رأى من آيات ربه)، انظر إلى كمية الرؤية، وهي بدأت في الأصل بالعلم: (علمه شديد القوى) [النجم:5].

(لقد رأى من آيات ربه الكبرى) [النجم:18] النبي –صلى الله عليه وسلم– صعد للمعراج، ورأى سيدنا جبريل، والتقى به مرتين، ورأى من الآيات، ورأى سدرة المنتهى، ورأى، ورأى، ورأى...

أنتم ماذا رأيتم بالنسبة لآلهتكم؟! (أفرأيتم اللات والعزى () ومناة الثالثة الأخرى) [النجم:20,19] ماذا فعلت هذه الآلهة؟! ماذا فعلت هذه الآلهة حتى تعبدوها؟! كل ما يُعبَد من دون الله يُسأل عابدوه هذا السؤال: لماذا تعبدونه؟ ماذا أعطاكم؟ ماذا رأيتم منه حتى تعبدوه؟ أَرسل إليكم رسولًا؟ أَنزل لكم وحيًا؟ أَنزل لكم ملائكة؟ لماذا تعبدونه؟

(أفرأيتم اللات والعزى) طبعًا هذا استهزاء، (ومناة الثالثة الأخرى () ألكم الذكر وله الأنثى () تلك إذًا قسمةٌ ضيزى) [النجم:19-22] أي: جائرة، كل الآلهة التي تُعبَد من دون الله هي مجرد تسميات: (إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان(23)) ، المذاهب الضالة كلها هي مُسمَّيات وُضعت وتم الاستدلال عليها بعدما

وُضعت الأسماء، لكن ليس هناك أيّ سلطان عليها (ما أنزل الله بها من سلطان إن يتَّبعون إلا الظن).

(إِن يَتَّبِعونَ إِلَّا الظَّنَّ)، تكررت الكلمة مرتين في السورة، ليس فقط الظن، بل أيضا (وَما تَهوَى الأَنفُسُ) ولهذا ماذا قال الله في البداية؟ ﴿وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى)، هذه الآلهة نشأت كي تحقق هوى النفس، بمعنى؛ أعجبتني الليبرالية لأنها توافق هوى في نفسي.

أنا اخترت هذا المعبود لأنه لا يُعطيني أوامر، أنا فقط أذهب أتبرك وأتمسح به وأفعل ما أريد، (وَما تَهوَى الأَنفُسُ)، لكن الحقيقة أن الهدى جاءهم من ربهم (وَلَقَد جاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الهُدى) [النجم:23].

﴿أَم لِلإِنسانِ ما تَمَنّى﴾[النجم:24] بعضهم قال ما علاقتها بسياق السورة؟

هل يعتقدون أن الإنسان يختار ما يتمناه من آلهة ويفعل ما يشاء؟ لا الله عز وجل هو الذي يُنزل الوحي ويأمر بما شاء سبحانه وتعالى.

بعضهم قال: ﴿أَم لِلإِنسانِ ما تَمَنّى﴾ أن بعضهم تمنى النبوة، قال: أنا أيضًا أريد أن أرى جبريل، لماذا تراه أنت؟ أنا أيضًا أريد الاطلاع ﴿أَم لِلإِنسانِ ما تَمَنّى﴾

وبعضهم قال لا؛ إن الأمر مسألة: (وَما تَهوَى الأَنفُسُ)، أنت تتوقع أنك حتى لو قمت باختيار آلهة وصنعت دينًا بنفسك، أنت تتوقع أنك ستنال من الدنيا غير ما قدَّره الله لك؟ أنت تركت الدين كي تأخذ الدنيا، إذًا أنت تعتقد أنك ستنال الدنيا بعيدًا عن الله؟ لا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَن كانَ يُريدُ العاجِلَةَ) ماذا تقول القاعدة؟ القيد ماذا يقول؟ (عَجَّلنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَن نُريدُ) [الاسراء:18]، حتى الذي يريد الدنيا ويرفض الدين لن يناله من الدنيا إلا ما قدَّره الله، (ما نَشاءُ) من الدنيا (لِمَن نُريدُ) من الناس.

﴿أَم لِلإِنسانِ ما تَمَنّى﴾ هذه الآية من الشعارات التي يجب وضعها، ((أمانيك لن تتحقق إلا بإرادة الله))، إياك أن تعتقد بأنك ستحقق أمانيك بعيدًا عن الله، ﴿أَم لِلإِنسانِ ما تَمَنّى﴾، لا ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأولى﴾، حتى الملائكة لا تستطيع أن تشفع إلا بإذنه سبحانه وتعالى (إِلّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرضى﴾[النجم:26]

أكبر إشكالية سببت لهم الضلال وجعلتهم يُسَمّون التسميات الضالة أنهم »»« لا يريدون الآخرة.

القرآن دائمًا بعدما يذكر الضلال كثيرًا جدًا –سورة الفرقان، سورة الأنعام، ﴿بَل كَذَّبوا بِالسّاعَةِ) [الفرقان:11]، سور كثيرة– بعدما تعرض لك الضلال تقول لك السبب الرئيسي: أنه لا يريد الآخرة.

من أكبر أصول الضلال التي ذُكرت في (القرآن) والتي تجعل الإنسان يَضل هو (الهروب من التكليف)

احفظوا معي هذه القاعدة، من أهم أصول الضلال التي ذكرها الله لنا في القرآن التي تجعل الإنسان يضل أنه ماذا؟ ((لا يريد أن يُكلَّف)) لهذا أول سورة في القرآن أقرّت وركزت وقالت خُتِمَت بـ ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفسًا إِلّا وُسعَها) [اية:286] سورة البقرة، والهروب من التكليف كيف يأتي؟

يأتي عن طريق عدّة أشياء:

أقول: لا يوجد إله،

أو أقول: لا يوجد وحي،

أو أقول: لا توجد آخرة،

هذا المثلث ((الإله، الوحي، الآخرة))

لأنه يوجد إله وهذا الإله لم يخلقنا عبثًا بل خلقنا كي يحاسبنا وهذا الحساب على منهج الذي يتمثل في "الوحي" هؤلاء الثلاثة.

لذلك كلمة "ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ" تكررت مع الثلاثة؛ مع الإله مع الخلق، ومع يوم القيامة ومع الوحي:

"وَالأَرضُ جَميعًا قَبضَتُهُ (يَومَ القِيامَةِ)" في سورة الزمر. [اية:67]

﴿ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ) أتت مع سورة الحج (لَن يَخلُقوا ذُبابًا). [اية:74]

و الثالثة مع الوحي (إذ قالوا ما (أَنزَلَ اللَّهُ)عَلى بَشَرٍ مِن شَيءٍ) سورة الأنعام. [اية:91]

﴿إِنَّ الَّذينَ لا يُؤمِنونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمّونَ المَلائِكَةَ تَسمِيَةَ الأُنثى﴾[النجم:27] هذه الإشكالية الأساسية.

﴿وَما لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِن يَتَّبِعونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحَقِّ شَيئًا﴾[النجم:28] هؤلاء طالما تركيزهم في الدنيا فقط لن يستويا، من أجمل مَن كَتب في شرح هذه الآية (الظلال) كلامه رائع هنا في هذه المسألة على اختلاف الطرق بين مَن يريد دنيا ويريد آخرة، أفكارهم مختلفة و طريقتهم مختلفة وحياتهم مختلفة.

أيضًا الشاب مثلًا الذي كان يعيش مع صحبة يفعلون ما يشاؤون من المعاصي، ثم قرر الالتزام، في البداية تكون فترة محاولة إرضاء جميع الأطراف.

مثلًا في بداية التزامي؛ أخبرني أحدهم برحلة إلى رأس البَر فقال لي: هل تأتي معنا؟ لكن بشرط لا تؤذينا ولا نؤذيك، لا تقول لنا اطفئوا كذا، ولا تفعلوا كذا، ولا تنظروا إلى كذا، تريد

أن تُصلي افعل ما تريد، لكن لا تؤذينا ولا نؤذيك، إذًا لماذا تريدونني معكم؟ لأننا نكون مجموعة مع بعضنا البعض الجلسة تكون لطيفة نمرح ونمزح.

الذي يحاول أن يظل هكذا غالبًا ما ينتكس، ((لن تلتقوا))، هو له تفكير وإرادة ومنهج وحياة، بخلافك هذا لو أنك اخترت اختيارًا صحيحًا، لو تلقيت الدين بطريقة صحيحة مثلما تلقاه الصحابة سوف تكتشف أن لك أفكارًا و طموحًا وهمومًا غيرهم ودائمًا ما يحصل تصادم بينكم، وهذه الإشكالية التي تحدث ليس فقط مع أصدقائك، أيضًا عندما تختار الزوجة خطأ، عندما تختار الزوجة خطأ لو أنك شخص لك هدف، ملتزم بشكل صحيح، لك رؤية وطموح واتجاه ...إلخ، في الاتجاه المعاكس تجد أيضًا أن لها مثلك اهتمامات –حتى إذا كانت لا تُظهر اهتماماتها وطموحاتها– فهذا ليس معناه أنه ليس لديها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [كل الناس يغدو][6]، كل شخص له توجهات وطموحات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحديث الذي يذكره ابن تيمية دائمًا: [أصدق الأسماء حارث وهمام][7].

جميع الناس عندهم هموم وجميع الناس تحرث أي لها أفعال، فالذي همه أنه يريد أن يعيش سعيدًا بالمعنى الدنيوي، أريد أن أفرح، أريد الترويح عن نفسي، فهي تريد أن تعمل كذا وكذا وكذا، وأنت لك معايير أخرى، هذا حرام، هذا لا يُرضي الله، فتتذمر هي وتقول أنك تُضيّق عليها الخناق، المعايير مختلفة ومتناقضة، نحن هنا نتحدث عن درجة الحلال والحرام؛ تخيل شخصًا يمتلك ارتقاء أعلى يريد تحقيق بذل، طلب علم، نصرة الدين، دعوة إلى الله، فبالتالي سوف يُقلل، هو لن يبتعد فقط عن المحرمات، بل أيضًا المباحات وسوف يعيش حياة فيها نوع من الصعوبة، فبالتالي هي ستحزن أكثر وتحدث مشاكل أكثر.

---

[6] [عن أبي مالك الأشعري:] الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمَواتِ والأَرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها. مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٢٣ • [صحيح]

[7] أحبُّ الأسماءِ إلى اللَّهِ عبدُ اللَّهِ، وعبدُ الرَّحمنِ وأصدقُ الأسماءِ: حارثٌ وَهمّامٌ، وأقبحُها: حربٌ ومُرَّةُ
ابن تيمية (٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى ٤٣/٧ • صحيح

هنا تكمن الفكرة كيف تنتقي الصُحبة والخُلّة والزوجة.

العلاقات العامة واسعة أنت من الممكن أن تبيع وتشترى مع الكافر، أي أن البيع والشراء والعلاقات العامة حتى مع اليهود، أي أن الشرع واسع، فكرة أن تبيع وتشتري مع جميع الناس، العلاقات العامة، البيع والشراء العمل، كل هذا مع المسلم، مع الكافر، مع الجميع، لكن البطانة الخاصة، الحياة الخاصة المستمرة... لذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا تصاحب إلا مؤمن ولا يطعم طعامك إلا تقيّ][8].

هناك من يقول أن هذا أمر صعب، أنا أريد أن أخبرك أن هذا أمر منطقي من دون الحديث، لن يحدث إلا هذا، لو أنك اخترت اختيارات صحيحة بالرغم عنك لن تصاحب إلا مؤمنًا ولن يدخل بيتك ولن يأكل طعامك في بيتك، الملاصق لك لن يكون إلا التَقيّ، هذا لو أنك تَقيّ، لكن لو أنك غير تَقيّ أنت إذًا بعيد عن مَعني الحديث، فلا تُشغل بالك بالحديث، لا تقل: كيف هذا أنا لي أصدقاء كذا، ليس هذا شأنك فأنت غير مَعني بالحديث، اتركه –وإن كان بعض أهل العلم ضعّفه لكن أنا أخبرك عمن حسّنه ويتعامل معه أنه صحيح– الحديث يخاطب المؤمن التَقيّ الذي لا يصلح أن يكون صديقه وخليله فاجرًا.

الآية (فَأَعرِض عَن مَن تَوَلّى عَن ذِكرِنا) وقصر اهتمامه (وَلَم يُرِد إِلَّا الحَياةَ الدُّنيا) [النجم:29] اهتمامه فقط بالدنيا هذا مستحيل أن تتوافق معه، (ذلِكَ مَبلَغُهُم مِنَ العِلمِ) تكرار كلمة العلم.

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اهتَدى) [النجم:30] هم قسمان.

[8] ١٢- [عن أبي سعيد الخدري:] "لا تُصاحِبْ إلا مؤمنًا، ولا يَأْكُلْ طعامَك إلا تَقِيٌّ" =

=الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٧٣٤١ • حسن

(وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ لِيَجزِيَ), ليجزي: اللام سواء هي لام العاقبة أو أن هذا الملك وهذا الخلق له حكمة وهو الحساب يوم القيامة (لِيَجزِيَ الَّذينَ أَساءوا بِما عَمِلوا وَيَجزِيَ الَّذينَ أَحسَنوا بِالحُسنَى)[النجم:31] إذًا ما المطلوب مني فعله؟

(يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) كأن السورة مع هذا الجو العالي –وهذا شيء عجيب جدًا في القرآن سبحان الله– دائمًا السور القرآنية عندما تعلو، تعلو جدًا في المعاني، تطلب معانٍ عالية جدًا؛ تأتي آية لتخبر من يخطئ أن هناك أملًا.

حينما تسمع سورة الزمر، من البداية هما "زمرتان"؛ زمرة الصلاح المصلحون المفلحون، وزمرة المفسدين، طوال السورة تجد مقارنات بينهم، حينما تتكلم عن زمرة الصالحين المصلحين، (أمّن هو قانت آناء الليل(9))، (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه(18))، ليس فقط يستمع، وإنما يستمع فيتبع فينفذ، لو افترضنا أن شخصًا اختار أن ينفذ أقل التكليفات والمواعظ التي يسمعها، وقام بتأديتها فإنه سيكون بطلاً، فكيف بمن يتبعون أحسنه!

فحينما أخبرك عن مستوى عالٍ جدًا، تأتي في نفس السورة: (قل يا عبادي الذين أسرفوا)[الزمر:53]، موجهة للفريق الضائع، وأنه يمكنه أن يلحق بركب الصالحين.

أيضًا في سورة الفرقان: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا(63))لا تشغلهم الدنيا، ولا يشغلهم الناس،(يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا(64))، أئمة في معاملة الناس وفي العبادة. ثم يقول الله عز وجل: (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً(68))، ثم بعد ذلك آية: (إلا من تاب)، معنى هذا أن القاتل والزاني والمشرك يمكن أن يلحقوا بعباد الرحمن؟! نعم؛ يمكن ذلك، هناك أمل أن يلحقوا بهم.

فالخطاب العالي جدًا في السورة (سورة النجم)، أن تجتنب الكبائر والفواحش، لكنني أخطيء، وأحياناً كثيرة أسقط في الذنوب! ربنا عز وجل قال لك: (إلا اللمم) بمعنى أنهم كانوا

يجاهدون أنفسهم، لكن كانوا يقعون أحياناً، (إلا اللمم). ما معنى (إلا اللمم)؟ ربنا عز وجل قال بعدها إن ربك واسع المغفرة.

هل يعرف أحدكم معنى (اللمم)؟

صغائر الذنوب، قالوا هي اللمم، نرجع أولًا لأصل اللغة (اللمم) ألمَّ بالشيء أي قارب منه، أو تم بينهما لقاء عابر، ألمَّ بكذا أي قارب ولم يدخل، ألمّ بالمكان أي مر به لكن لم يستقر فيه، فقالوا: هنا تصدق على معنيين: على الصغائر التي هي مقدمات الكبائر، أي نظرة، ينظر نظرة حرامًا لكن لم يزنِ، فالفاحشة هي "الزنا"، ولمسها أو البوابة التي تؤدى إليها مثل النظرة أو...، ولم يصل إلى الزنا، فهذه من الصغائر، مقدمات الفواحش والكبائر، يقع فيها ثم يعود، يقع في المقدمات ثم يرجع، كلما وقع في خطأ، يجتنب الكبائر. كل كبيرة و كل فاحشة لها مقدمات، هو يقع في المقدمات ثم يعود، ((إن تغفرِ اللَّهمَّ تغفر جَمًّا وأيُّ عبدٍ لَك لا ألَمًّا))[9] حديث يُروى، سواء عن النبي عليه الصلاة والسلام، أو ابن عباس، سواء مرفوعًا، أو موقوفًا: "إن تغفر اللهم تغفر جمًا" أي مغفرتك واسعة، "وأي عبد لك لا ألما" أي كل الناس تقع، النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ)[10]. متى تتحول هذه المقدمات إلى زنى حقيقي؟ (والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)، بمعنى هو نظر نظرة حرامًا، لو استمر حتى وقع في الزنا أصبح زانيًا حقيقةً، أما لو أقلع فهذا لمم، بإذن الله تعالى لو تاب يُغفر له.

[9] [عن عبدالله بن عباس:] في قَولِهِ: {إِلَّا اللَّمَمَ} قال رَسولُ اللهِ ﷺ:" إنْ تَغفِرِ اللَّهمَّ تَغفِرْ جَمّا، وأيُّ عَبدٍ لكَ لا ألَمّا؟!"

الألباني (١٤٢٠ هـ)، تخريج مشكاة المصابيح ٢٢٨٨ • صحيح على شرط الشيخين

[10] [عن عبدالله بن عباس:] ما رَأَيْتُ شيئًا أَشْبَهَ باللَّمَمِ، ممّا قالَ أبو هُرَيْرَةَ: عَنِ النبيِّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ اللَّهَ كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنا، أدْرَكَ ذلكَ لا مَحالَةَ، فَزِنا العَيْنِ النَّظَرُ، وزِنا اللِّسانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَمَنّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أوْ يُكَذِّبُهُ.

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٦١٢ • [صحيح]

بعضهم قال لا، (اللمم) أن يقع في كبيرة، ويقع في فاحشة، لكن يتوب مباشرةً بعدها،، مثل آية (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين () الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين () والذين إذا فعلوا فاحشة) فعل، هو وقع فعلًا في الفاحشة وليس مقدماتها، (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) [ال عمران:133-135]، فبعضهم قال (اللمم) هنا يعني الفعل السريع العابر، وقع فعلاً في الفاحشة، لكن قام مباشرةً بعدها، وتذكر وتاب وندم على ذلك، هؤلاء أيضًا تشملهم هذه الآية: (إن ربك واسع المغفرة)

ثم ذكر الله عز وجل لك عذرك، ((انظرإلى الرحمة)) (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) [النجم:32]، ربك يعلم أنك ضعيف، أنت مخلوق خُلق ضعيفًا، أنت من طين، لذلك قال كثيرمن المفسرين: (وخُلق الإنسان ضعيفًا)[النساء:28]، قال أي أمام الشهوات، وقال بعضهم أي أمام النساء. الإنسان قد يضعُف، فالضعف العابر الذي يسقط فيه الإنسان، سواء في المقدمات أو في الفاحشة، ثم يتوب بإذن الله عز وجل، يعفوعنه، ولكن الإشكالية في الذي يستمرئ الوضع، ويعجبه الوحل، ويستقر والعياذ بالله في المعصية.

(هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم)[النجم:32] أي فلا تمدحوها أمام الناس، هنا المعنى ليس المقصود به التزكية المطلوبة في قوله تعالى: (قد أفلح من زكاها) [الشمس:9] لا، فلا تزكوا أنفسكم هنا أي لا تُكثر من مدح نفسك أمام الناس. (هو أعلم بمن اتقى) الناس لن ينفعوك لا تضع الزينة الكاذبة، النبي صلى الله عليه وسلم -حديث صعب جدا- قال: (المتشبع بما لم يُعطَ كلابس

ثوبي زور)[11]، المتشبع بما لم يعطَ، أن أتشبع بمعنى أو بشيء هو ليس عندي أصلًا، أشبه بلابس ثوبي زور، اختلفوا في معنى لابس ثوبي زور، هل يعني أنه يأخذ إثم الزور مرتين؟ أوكأن الزور أصبح هو ساقطًا فيه تمامًا؟ لأن تشبع أي امتلأ، أي -والعياذ بالله- أن أُظهر نفسي أمام الناس أنني متقٍ، أوأنني داعية، وأنا لست كذلك.

كان هناك معنى لطيف ذكره بعض الشراح يقول: أنه أحيانًا يكون شخصًا عاديًا جدًا لا يُأبه له، أشعث أغبر، غير معروف، فحينما يُطلب للشهادة، هو لديه ملابس معينة يذهب ليرتديها، فخمة، مخصوصة لهذا الغرض، بحيث أنه يأتي ويدلي بشهادته، وأحيانًا يضع وسامًا، يحمل بطاقة تعريف أنه ذو وجاهة ومكانة بالتزوير، ثم يشهد في قضية ما شهادة زور، وقد تُقبل شهادته لأنه تشبع، فقالوا: لابس ثوبي زور، هو اللبس الذي يُلبسه خصيصًا لكي يشهد به. فأيًا كان، أن تتشبع بما لم تُعط، فأنت ساقط في أسوأ شيء، ((قول الزور من أكبر الكبائر)) فالإنسان يجب أن يحترز من ذلك.

ثم قال أيضًا ربنا سبحانه تعالى كما عَجَّبنا من الآلهة الباطلة، عَجَّبنا من هذا الذي ترك السير في طريق الله! هناك بشر لا يريدون إلا الحياة الدنيا، فهؤلاء من البداية لا يريدون السير في طريق الله عز وجل، لكن أيعقل أن يمشي أحد في الطريق الصحيح ثم يرجع؟! تقابله بعض العقبات فيرجع! هذه مصيبة (أفرأيت الذي تولى) [النجم:33] أي بعد أن سار في الطريق، "وأعطى" لكن قليلًا، لم تكن بدايته قوية، بداية مترددة، يقدم قدمًا ويؤخر الأخرى، لم يدخل بقلبه. هناك من يدخل في الدين ((واثقًا)) بما عند الله سبحانه وتعالى، عنده يقين، قلنا أن السورة من مكسبات اليقين (سورة النجم)، فهناك من يدخل وليس عنده يقين، يعطي قليلًا، دائمًا متردد، ليس واثقًا، ليس موقنًا، يرجع مع أول صدمة...

[11] [عن أسماء بنت أبي بكر:] جاءَتِ امْرَأَةٌ إلى النبيِّ ﷺ، فَقالَتْ: إنَّ لي ضَرَّةً، فَهلْ عَلَيَّ جُناحٌ أنْ أتَشَبَّعَ مِن مالِ زَوْجِي، بما لَمْ يُعْطِنِي؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ، كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ.

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢١٣٠ • [صحيح]

"وأكدى"، قالوا الألف في "أكدى" ألف الوصول أي بلغ، مثل أظهر: دخل الظهر، أصبح دخل في الصباح ، أكدى أي بلغ، وصل، أي بلغ الكُدية، -كُدية: حجر صلب- أحيانًا من يحفرون بئر ماء، تقابلهم كُدية، فيتركوا الحفر، أشبه بشخص كان يبحث عن الماء، ليروي العطش، ويبحث عن النور والوحي ليروي ظمأ قلبه، فقابلته كُدية في الطريق، فيتركه ويرجع... هناك من يترك الطريق لأن حذاءه قد سُرق، وهناك من يترك الطريق لأن فلانًا خدعه باسم الدين، وهناك من ترك الطريق لأن أحدهم نعته بالمتشدد، وهناك من ترك الطريق لأنه رأى بعض الخلافات، وهناك وهناك... كل إنسان يمر، تقابله كدية معينة قد يترك من أجلها الطريق.

المهم أنه يعتذرعن تركه الطريق بماذا؟ يقول أحدهم: أنا هناك كدية قابلتني، (الصادق) يخترق هذه الكُدى، ويكسر هذه الكُدى، قوة الإيمان تكسر أي كُدية تقابلك، النبي صلى الله عليه وسلم لما كانت تقابل الصحابة كدية في حفر الخندق كانوا يلجأون إلى النبي صلي الله عليه وسلم، فكان يسمي الله، ويستعين بالله، ويضرب الكُدية فتنكسر ويخرج منها النور فيقول (سبحان الله أعطيت مفاتيح كِسرى، أعطيت مفاتيح قيصر)[12]

فأنت عندما تضرب الكُدية، فهذه من علامات التمكين في النفس، مثلما كان كسر الكُدية في الخندق من علامات التمكين في الأرض، أنت حينما تكسر الكُدية التي تقابلك، فهذا أكثر تمكينًا لنفسك، تصبح مُمَكّنًا في نفسك، فإياك أن تتولى..

[12] [عن البراء بن عازب:] لما كان حين أمرنا رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم بحَفْرِ الخَنْدَقِ عَرَضَتْ لنا في بعضِ الخَنْدَقِ صخرةٌ لا نأخذُ فيها المَعاوِلَ، فاشْتَكَيْنا ذلك إلى النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم، فجاء فأخذ المِعْوَلَ فقال:"بسمِ اللهِ، فضرب ضربةً فكسر ثُلُثَها، وقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشامِ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ قصورَها الحُمْرَ الساعةَ، ثم ضرب الثانيةَ فقطع الثُّلُثَ الآخَرَ فقال: اللهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مفاتيحَ فارسٍ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ قصرَ المدائنِ أبيضَ، ثم ضرب الثالثةَ وقال: بسمِ اللهِ، فقطع بَقِيَّةَ الحَجَرِ فقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليَمَنِ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا الساعةَ"
ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، فتح الباري لابن حجر ٧/٤٥٨ • إسناده حسن • أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٥٨)، والروياني في «المسند» (٤١٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤٢١/٣)

ورد أثر هنا غريب جدًا في معنى الآية ذكره كثير من المفسرين: أن الوليد بن المغيرة – وهوالأشهر–لما سمع القرآن[13] وتأثر وقال: إن عليه لحلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وقال كلامًا عجيبًا في القرآن، فأتاه أحد المشركين وقال له: لماذا تريد الإيمان بالقرآن؟ قال له: خائف! فقال له: إذن سوف أحمل عنك العذاب، أي: لو أنك وقعت في عذاب سوف أتحمله نيابةً عنك، لكن سوف تدفع لي مالًا وأنا أحمل عنك العذاب، فوافق واتفق معه على مبلغ من المال أيًا كان، الروايات لم تذكر لكن مثلًا اتفق معه على ألف دينار، يعطيه المبلغ في سبيل أن يحمل عنه جزءًا من العذاب ولهذا ربطها بعضهم بآية بعدها: (أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى ۝ وَأَن لَيسَ لِلإِنسانِ إِلّا ما سَعى) [النجم:39,38]

العجيب أنه بعدما ترك الطريق –سمع الوحي وعرف قيمة القرآن ثم أعرض عنه– الوليد بن المغيرة أيضًا لم يدفع كل المبلغ، فقط دفع جزءًا منه وقال له يكفي هذا، أعطى قليلًا، أعطى قليلًا حتى فيما اعتقد من الباطل، هناك شخص دائمًا يُعطي قليلًا حتى لو فِكره فكرٌ باطل –أيًا كان الأثر بعيدًا عن صحته وضعفه– فالمعنى العام أن هناك من الناس مَن أعرض من البداية (وَلَم يُرِد إِلَّا الحَياةَ الدُّنيا) وهناك مَن دخل الطريق لكنّه مع أول كُدية ترك الطريق، فما حلّه؟ ما المعاني التي يحتاج أن يعرفها كي يُكمل؟ »»» عليه أن يقرأ بقية السورة، أي أن الذي يريد حل هذه الإشكالية فليقرأ باقي السورة.

(أَعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ فَهُوَ يَرى) [النجم:35]

[13] [عن عبدالله بن عباس:] أنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ جاء إلى النَّبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم فقرأ عليه القرآنَ فكأنَّه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهلٍ فأتاه فقال: يا عمِّ إنَّ قومَك يريدون أن يجمعوا لك مالًا ليُعطوكه، فإن أتيتَ محمَّدًا لتعرضَ لَما قبلَه، قال: لقد علِمتْ قريشٌ أنِّي من أكثرِها مالًا، قال: فقُلْ فيه قولًا يبلغُ قومَك أنَّك منكِرٌ له وأنَّك كارهٌ له. فقال: وماذا أقولُ فواللهِ ما فيكم رجلٌ أعلمَ بالشِّعرِ منِّي، ولا برجزِه ولا بقصيدِه منِّي، ولا بأشعارِ الجنِّ، واللهِ ما يُشبهُ الَّذي يقولُ شيئًا من هذا، واللهِ إنَّ لقولِه لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّه لمنيرٌ أعلاه مثمرٌ أسفلُه، وإنَّه ليعلو وما يُعلى عليه، وإنَّه ليُحطِّمُ ما تحته قال: لا يرضى عنك قومُك حتَّى تقولَ فيه، قال: فدَعْني حتَّى أفكِّرَ، فلمَّا فكَّر قال: هذا سحرٌ يُؤثرُ يَأثرُه عن غيره، فنزلت: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا"

السيوطي (٩١١ هـ)، لباب النقول ٣١٩ • إسناده صحيح على شرط الشيخين

إسقاط الآية على هذا الأثر السابق الذي ذكرته أي: أيعتقد فعلًا أنه سيحمل عنه العذاب؟ أو (أَعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ فَهُوَ يَرى) أهو معتقد أنه هكذا قد نجا من العذاب؟ أو أن القليل الذي دفعه يكفي لينجيه من العذاب؟

(أَم لَم يُنَبَّأ بِما في صُحُفِ موسى (36) وإبراهيم الذي وفَّى(37)) وفَّى: عكس أكدى، عليك أن تُصاحب النماذج التي وفَّت، اطَّلع على سِيَرهم، هل تريد أن تُكمل الطريق؟

صاحب مَن هم مستمرون في الطريق، ولا تشتكِ لشخص من كدية فيقول لك أنت مُحق، أنت تسير في الطريق الصحيح، وفعلًا أنا قابلت هذه الكدية من قبلك وأنت مُحق أنت تسير في الطريق الصحيح، لا تذهب لتستشير شخصًا على مقهى فيقول عد أدراجك وارجع لما كنت عليه قبل السير... لكن صاحب واسأل الذين كسروا الكُدى في حياتهم وارتبط بهم كي تستطيع إكمال الطريق، اطَّلع على نماذج الأنبياء (وإبراهيم الذي وفّى) الصحابة، التابعين، الذين بذلوا، وضحوا اطَّلع على هذه النماذج.

إذًا هذه ثاني نقطة من كيفية إكمال الطريق، أن تعرف أنه لن ينفعك أحد.. لا تُردد: لقد اتضح أنه مُخادع، لقد صدُّوني عن الطريق... إلخ (أَلّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى) [النجم:38] أغلب الذين يقابلهم كُدى ويعودون ولا يكملون الطريق تكون هذه الكُدية إما أشخاص قابلوهم أو ضَغْط أشخاص عليهم، زوجته أهله، فالله يحذره: لن ينفعك أحد سواء كان سبب الرجوع هذا كدية أو مَن ضَغَط عليك وسبّب لك الرجوع، في كل الأحوال يجب أن تعلم أنه لن ينفعك أحد.

(لِكُلِّ امرِئٍ مِنهُم يَومَئِذٍ شَأنٌ يُغنيهِ) [عبس:37] أنت تريد معرفة كيفية إكمال الطريق إذن اعلم أنّك وحدك، سوف تُبعَث وحدك، ستموت وحدك.

سمعتُ شرحًا جميلًا لحديث عندما يُدفَن الإنسان في قبره[14] –حسّنه بعض أهل العلم– يتركه أهله، ويتركه ماله، وتتركه الزوجة، كل الناس يتركونه، فتأتي ملائكة العذاب ويأتي العذاب، فيقول القرآن: ما قِبَلي مدخل وتأتي الصدقة وتقول: ما قِبَلي مدخل، يريدون الهجوم عليه فتقف كل طاعة في مكان فتقول: ما قِبَلي مدخل، والصيام يقول ما قبلي مدخل، فهذه هي الطاعات التي فعلتها أحاطتك، لا أحد سوف يُحيطُك لا أهلك، ولا زوجتك، ولا مالك، لن يُحيطك أحد، إذن ما الذي سوف يُحيطُ بك؟ أعمالك هي التي سوف تمنع دخول العذاب عليك. (أَلّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى(38) وَأَن لَيسَ لِلإِنسانِ إِلّا ما سَعى(39)) ابذل كي تنال الثواب (وَأَنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرى(40)) سوف تُحاسَب (ثُمَّ يُجزاهُ الجَزاءَ الأَوفى(41)) تُوفّي أنت وسوف يُوفَّى لك الجزاء.

أعلى معنى تعيش معه بقية السورة (وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ المُنتَهى(42)) أن يتعلق قلبك به وحده سبحانه وتعالى فقط، وهذا مستمر مع المعنى الأول: ألا تُعلق قلبك بالناس–هذا معنى النفي– أما معنى الإثبات: أن يتعلق قلبك بالله وفقط، إليه المنتهى، آمالك وطموحاتك أن أكون قريبًا منك يارب.

---

[14] - [عن أبي هريرة:] إنَّ المَيّتَ إذا وُضِعَ في قبرِه إنَّه يسمعُ خفقَ نِعالِهم حين يُولونَ مُدبرينَ ، فإنْ كان مؤمنًا كانتِ الصَّلاةُ عند رأسِهِ ، وكان الصِّيامُ عن يمينِهِ ، وكانتِ الزَّكاةُ عن شمالِهِ وكان فعلُ الخَيراتِ مِن الصَّدقةِ والصَّلاةِ والمَعروفِ والإحسانِ إلى النَّاسِ عندَ رجلَيْهِ فيُؤتَى مِن قِبَلِ رأسِهِ فتقولُ الصَّلاةُ ما قِبَلي مَدخلٌ ، ثمَّ يُؤتَى عن يمينِهِ فيقولُ الصِّيامُ ما قِبَلي مَدخلٌ ، ثمَّ يُؤتَى عن يسارِهِ فتقولُ الزَّكاةُ : ما قِبَلي مَدخلٌ ، ثمَّ يُؤتَى من قِبَلِ رجلَيْهِ فيقولُ فِعلُ الخَيراتِ من الصَّدقةِ والصَّلاةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى النَّاسِ : ما قِبَلي مَدخلٌ ، فيُقالُ لهُ ، اجلسْ فيجلسُ قد مُثِّلَتْ لهُ الشَّمسُ ، وقد أذِنَتْ للغروبِ ، فيُقالُ لهُ : أرأيتَكَ هذا الَّذي كان قبلَكُم ، ما تقولُ فيهِ ، وماذا تشهدُ عليهِ ؟ فيقولُ : دعوني حتَّى أُصلِّيَ ، فيقولونَ : إنَّكَ ستفعلُ ، أخبِرْنا عمَّا نسألُكَ عنهُ ، أرأيتَكَ هذا الرَّجلُ الَّذي كان قبلَكُم ، ماذا تقولُ فيهِ وماذا تشهدُ عليهِ ؟ قال : فيقولُ : محمَّدٌ ، أشهدُ أنَّهُ رسولُ اللهِ ، وأنَّهُ جاء بالحقِّ مِن عندِ اللهِ ، فيُقالُ لهُ : على ذلكَ حَييتَ ، وعلى ذلكَ متَّ ، وعلى ذلكَ تُبعَثُ إن شاءَ اللهُ ثمَّ يُفتَحُ لهُ بابٌ مِن أبوابِ الجنَّةِ فيُقالُ لهُ هذا مقعدُكَ منها وما أعدَّ اللهُ لكَ فيها ، فيزدادُ غِبطةً وسرورًا ثمَّ يُفتَحُ لهُ بابٌ مِن أبوابِ النَّارِ فيُقالُ لهُ : هذا مقعدُكَ وما أعدَّ اللهُ لكَ فيها لَو عصَيتَه فيزدادُ غبطةً وسرورًا ثمَّ يُفسَحُ لهُ في قبرِهِ سبعونَ ذراعًا ، ويُنوَّرُ لهُ فيهِ ، ويُعادُ الجسدُ لِما بُدِئَ منهُ فتُجعَلُ نسَمَتُهُ في النَّسَمِ الطَّيِّبِ وهيَ طيرٌ تُعلَّقُ من شجرِ الجنَّةِ فذلكَ قولُه : يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وإنَّ الكافرَ إذا أُتيَ من قِبَلِ رأسِه لَم يُوجَدْ شيءٌ ثمَّ أُتيَ عن يمينِهِ فلا يُوجَدُ شيءٌ ثمَّ أُتيَ عن شمالِهِ فلا يُوجَدُ شيءٌ ثمَّ أُتيَ من قِبَلِ رجلَيْهِ فلا يُوجَدُ شيءٌ فيُقالُ لهُ اجلسْ فيجلسُ مَرعوبًا خائفًا فيُقالُ أرأيتَكَ هذا الرَّجلَ الَّذي كان فيكُم ماذا تقولُ فيهِ وماذا تشهدُ عليهِ فيقولُ : أيُّ رجلٍ ؟ ولا يهتَدي لاسمِهِ ، فيُقالُ لهُ : محمَّدٌ ، فيقولُ : لا أدري ، سمِعتُ النَّاسَ قالوا قولًا ، فقلتُ كما قال النَّاسُ ! فيُقالُ لهُ : على ذلكَ حَييتَ وعليهِ متَّ وعليهِ تُبعَثُ إن شاءَ اللهُ ثمَّ يُفتَحُ لهُ بابٌ من أبوابِ النَّارِ فيُقالُ لهُ : هذا مقعدُكَ من النَّارِ وما أعدَّ اللهُ لكَ فيها فيزدادُ حسرةً وثُبورًا ثمَّ يُفتَحُ لهُ بابٌ من أبوابِ الجنَّةِ فيُقالُ لهُ : هذا مقعدُكَ منها وما أعدَّ اللهُ لكَ فيها لَو أطعتَهُ فيزدادُ حسرةً وثُبورًا ثمَّ يُضيَّقُ عليهِ قبرُهُ حتَّى تختلفَ فيهِ أضلاعُهُ فتلكَ المَعيشةُ الضَنكةُ الَّتي قال اللهُ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترغيب ٣٥٦١ • حسن

(وَأَنَّهُ هُوَ أَضحَكَ وَأَبكَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحيَا ۝ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوجَينِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ۝ مِن نُطفَةٍ إِذَا تُمنَى ۝ وَأَنَّ عَلَيهِ النَّشأَةَ الأُخرَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَغنَى وَأَقنَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرَى) [النجم:43-49] كانوا يعبدون النجم: الشِعرى.

أهلكَ الظَلَمة: (وَأَنَّهُ أَهلَكَ عَادًا الأُولَى ۝ وَثَمُودَ فَمَا أَبقَى ۝ وَقَومَ نُوحٍ مِن قَبلُ إِنَّهُم كَانُوا هُم أَظلَمَ وَأَطغَى ۝ وَالمُؤتَفِكَةَ أَهوَى) [النجم:50-53]

تطويف في الكون،

مشاعر النفس الإنسانية: أضحكَ وأبكى،

الأسرة وإيجاد الأسرة: خلق الزوجين،

الإماتة والإحياء: أمات وأحيا،

الظَلَمة، وكسر الظَلَمة، وقصم الظالم: أهلكَ عادًا الأولى،

المال: أغنى وأقنى، قالوا أقنى بمعنى: مَلَّك، اقتنيت شيء أي صار مِلكا لي، فقالوا أغنى وأقنى: أي أغناك وملَّكك، وقيل أغنى وأقنى: أقنى تأتي بمعنى الرضا أي ملَّكك ما يُرضيك، فقالوا: أغنى أي من الممكن أن يجعل إنسانًا راضيًا بالغنى، ومن الممكن أقنى أي يجعل الإنسان راضيًا بالقليل. بعض المفسرين- وإن كان ليس هذا هو الصحيح لُغةً- قال: أقنى بمعنى أفقر، لكن هي أقنى ليس بمعنى أفقر، هي من الممكن أن تكون بمعنى رضَّاه بالقليل.

هُنا من لطائف الأدب مع الله؛ أنها كلها مُتضادات، أضحك أبكى، أمات أحيا، لكن قال سبحانه: (أغنى وأقنى) وليس أغنى وأفقر، حتى الذي اختار أن أقنى بمعنى أفقر قال: أفقر العباد إليه (أي جعلهم فقراء إليه سبحانه)، كي يكون فيها نوع من التأدب مع الله سبحانه وتعالى.

بعدما تقرأ هذا الكلام عن الله، يجيء السؤال أنت ماذا تريد؟ (فَأَينَ تَذهَبونَ) [التكوير:26] كما قال سبحانه: (فَما ظَنُّكُم بِرَبِّ العالَمينَ)[الصافات:87] لماذا نلجأ إلى غيره؟ لو أنني موقن بهذه المعاني في آخر سورة النجم لماذا لا أسجد له؟ لماذا أترك طريقه؟ لو أنني موقن أنه هو –وهو هذه تفيد التخصيص– لذلك قالوا: قد يُنازَع في الإضحاك والإبكاء، وقد يقول قائل: أنا أُميت (أقتل) وأتركه فيحيا –مثلما قال النمرود– لكن لا يُنازَع سبحانه وتعالى في الخلق، فلم تأتِ معها (هو) فلم يقُل: وأنه هو خلق الزوجين، بل (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)[النجم:45] لأن هو تفيد التخصيص، هو(وحده) سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده أضحك وأبكى، وأنه هو وحده أمات وأحيا، لكن مع خَلَقَ لم تأتِ لأن هو ماذا؟ لم ولن يُنازَع الخلق، لن يدّعي أحد أنه يخلق من العدم، فلو صحَّ إذًا اذهب واخلق لنا كونًا آخر، اترك هنا، ألم تدّعِ أنّك تخلق؟! إذن اذهب واخلق كونًا آخر وبشرًا آخرين وعِش حياتك لو أنّك تخلق، إذًا لا أحد يدّعي الخلق (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوجَينِ)

فهو وحده أضحك وأبكى، هو وحده، لو أنك موقن وموحد، أي موقن بهذه الأفعال ومُوحِد فيها هل ستذهب لغيره؟ لماذا لن تُكمل في الطريق أصلًا؟ ما الموانع؟ هذه الأشياء التي تمنعك من إكمال الطريق

أنّك خائف..

أنّك حزين..

خائف من الموت..

خائف من الفقر..

خائف من الظالم..

أنت خائف من الكون (رَبُّ الشِّعرى)، خائف من الأعاصير والزلازل،

أنت مَ تخاف؟!

هذه الأشياء لو أنني موقن أنها بيدِ الله، إذًا لماذا لا أُكمل الطريق؟ لماذا أتولى عن الطريق؟ لو أنني موقن بهذا فإن النتيجة النهائية أنني ماذا سأفعل؟؟؟

(فَاسجُدوا لِلَّهِ وَاعبُدوا)[النجم:62].

إذًا هذه السورة عالية ومؤثرة، ومُغيّرة، وترتفع بالإنسان، وتعرج به، إذًا لماذا لا نتأثر بها؟ أين المشكلة؟ (أَفَمِن هذَا الحَديثِ تَعجَبونَ ۝ وَتَضحَكونَ وَلا تَبكونَ ۝ وَأَنتُم سامِدونَ)[النجم:59-61] قالوا: في سامد أربعة عشر معنى يجمعها معنى الغفلة والتيه، ينظر ببصره إلى السماء وليس معك أو يسمع الأغاني، قالوا الأغاني من معنى وأنتم سامدون، المشركون كانوا يضربون بالدف والغناء أثناء قراءة القرآن حتى لا يسمعه الناس.

أكبر إشكالية ألا تترك هذه الآية تنزل على قلبك، وتَمُر على سمعك وتذهب، هذه أكبر إشكالية ولهذا لماذا أسمع سورة النجم ولا أتأثر؟ تقول: وسجد المسلمون والمشركون والجن والإنس، تقول: إنها تعرج بالقلب، إذًا لم لا أشعر أنني أريد السجود؟

هكذا أنا أيضًا عندما أقوم بتشغيل سورة النجم في السيارة وأتحدث في الهاتف وكذا...، فلا أشعر أنها أصلًا انتهت، ولا أشعر أن الجزء انتهى فضلًا عن الشعور بالرغبة في السجود؟ لماذا لا أشعر بشيء أساسًا؟

لأنني سامد غافل، (وَأَنتُم سامِدونَ) هذه هي أكبر إشكالية في سماع القرآن، وبالتالي فإن الآيات التي من المفترض أن تُبكيك تجد نفسك قد تضحك ولا تتأثر بشيء، يجب أن تُعطي نفسك أوقاتًا تسمع فيها القرآن سماع حق: (إِنَّ في ذلِكَ لَذِكرى لِمَن كانَ لَهُ قَلبٌ أَو أَلقَى السَّمعَ وَهُوَ شَهيدٌ)[ق:37] أي لا يُحدّث نفسه بغير القرآن، كما رُوي عن مجاهد وابن عباس: لا يُحدّث نفسه بغير القرآن، أي أنك لا تفعل شيئًا غير الاستماع لهذه الآيات، لكن أنا أقوم بتشغيل السورة وأتحدث، وأُراسل عبر الواتساب، وأنظر لهذا، وأُنادي هذا، وأسُب

أثناء القيادة، إذًا كيف ستتلقى المعاني وتتأثر بها؟ إياك أن تكون ممن قيل فيهم (وأنتم سامدون).

في النهاية (فَاسجُدوا لِلَّهِ وَاعبُدوا).

نكتفي بهذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ ألا إله إلا أنت أستغفرُك وأتوبُ إليك.

جزاكم الله خيرًا.